

النهضة الحسينية وأثرها التربوي في بناء شخصية الشباب

الاستاذ المساعد الدكتور
حسين لفته حافظ
جامعة الكوفة - كلية الفقه

المدرس الدكتور
هاشم حمود اليوسفي
جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة

المقدمة:

إنّ للنهضة الحسينية أثر واضح وكبير على سلوك وتصرف أغلب الشباب المسلم وبخاصة الذين ينظرون إليها كمنهج فكري وعملي خطه سيد الشهداء عليه السلام وأخيه الحسن عليه السلام وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، أي انهما القدوة الحسنة، ومن الجدير بالذكر ان ثورة الامام الحسين عليه السلام تعد صرخة قوية مدوية بوجه كل الطغاة وعلى مر الزمان تبقى هذه الثورة متجددة لا تبرد ابدا، ومنها اخذ الشباب الدروس والعبر وتعلموا عدم الخنوع لكل اشكال الظلم، فقد قطع الإمام الحسين عليه السلام الشك باليقين عندما حدد هدف ثورته بكلمة "الإصلاح"، فالإصلاح يعني أن تعيش الأمة معززة مكرمة، ينتشر بينها العدل، وتسودها روح المساواة، وتعلو فيها كلمة الحق، ضمانا للمحافظة على حرية الإنسان وصون حقوقه المشروعة.

أما عن أهداف البحث فلعل ابرزها:

- 1- يحاول البحث إن يؤكد على حقيقة ثابتة هي ان النهضة الحسينية اساس لكل الثورات نحو التغيير.
- 2- إشاعة المنهج الحسيني بما فيه من السمات والخصائص التربوية في حقل الشباب المسلم.
- 3- يشير البحث الى التلاقح الفكري بين المؤسسات الأكاديمية والمواقف التاريخية التي بقيت ولا تزال معلماً هادياً إلى الإستقامة والسداد.
- 4- رقد الحركة العلمية في هذا العصر خصوصاً ونحن إذ نواجه تحديات كبيرة من اسبابها الإبتعاد عن الفكر الرسالي الأصيل وإظهار البدع والخرافات مكانه من هنا فإن العودة الى المنهج الحسيني ليكون مؤسسة تربوية تقود الشباب نحو الطريق الصحيح.

اما عن خطة البحث فهو يتكون من مباحث درس الاول أهمية النهضة الحسينية في الواقع الإجتماعي بشكل عام، في حين درس الثاني معالم النهضة الحسينية في تبني الشباب وتغيرهم نحو الصواب ودرس المبحث الثالث البعد السياسي والجهادي للنهضة الحسينية.

اما عن منهج البحث فقد اعتمدت المنهج التحليلي بالاستفادة من المعطيات المتوفرة فضلا عن اقوال الامام التربية، وعن مصادر الدراسة فقد تنوعت تلك المصادر لتشمل كتب التاريخ والسيرة والكتب الاجتماعية فضلا عن دراسات حديثة استفاد منها البحث وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

البعد الاخلاقي والإصلاحي في النهضة الحسينية

أولاً: في هذا المحور يتبادر الى الذهن سؤال مفاده: لماذا خصصت أهمية التغير والبناء للشباب دون بقية الشرائح الأخرى علماً بأن النهضة الحسينية قد أثرت الساحة الاجتماعية على جميع المستويات.

وتأتي الاجابة إنما وقع الاختيار على شريحة الشباب دون غيرهم لأسباب موضوعية ينبغي الالتفات إليها، منها:

- ان السماء بكتابها العزيز أشارت وبشكل صريح ومحدد الى قابلياتهم المضيئة في طريق الهدى والصلاح لقوله تعالى ﴿لَهُمْ نُورٌ فِي أَنْوَارِهِمْ وَرِزْقُهُمْ هُدًى﴾^(١) وهذا يعني انهم قدرات متوهجة ونماذج مشعة في واحات الظلام، يحملون رسالتهم الدعوية في طيات قلوبهم وينشرون عقيدتهم السماوية بأقلامهم وألسنتهم وأساليهم المثبتة بالهداية والتقوى، إذا ما قدر لهم ان يجدوا محافل الوعي ومنابر التوحيد ومواطن التضحية، قد أولت لهم العناية الخاصة وظفروا بالأجواء التربوية الصالحة داخل محاريب الجماعات الملتزمة بدينها ورسالتها الهادفة واستقبلتهم الحواضن الآمنة فغذتهم الإيمان الصادق وثبت في نفوسهم الشعور بالمسؤولية وحفظتهم من الانزلاق والانحراف في دوائر الفساد والإفساد والظلال والإظلال في عالم البشرية الذي يخضع إلى التقدم والطور المدني والتكنولوجي بالحثيثة التي ظهرت إفرزاته مؤثرة

تماما على الواقع الاجتماعي والتربوي. وعندما تتوفر لديهم المناعة الكافية فإنهم ومن غير شك يتحولون الى مشاريع تربوية وتوعوية في الوسط الاجتماعي (فإذا كان التاريخ السنني قد اشاد في يوم ما على فتية قد آمنت بربها في خضم عالم الترف والزهو مقابل البطش والاستبداد، فهم وان كانوا مفخرة عصرهم وعالمهم آنذاك، إلا ان العصر الإسلامي قد فاق التصور بالطاقات الشبابية التي عبت دروب السائرين نحو الله بدمائهم واجسادهم وعتفوانهم الإيماني والفكري والتوعوي رغم دعوات الانفتاح الاخلاقي والمادي التي يمارسها البعض بمساحات واسعة)^(٢).

ومعلوم ان البطش والارهاب خصوصا في القرن العشرين أنه لمؤلم كونه موجه كمشروع غربي على الشعوب الإسلامية وفق تخطيط يهودي، إلا ان شبابنا أبوا الخضوع والخنوع وكانوا ولا زالوا يمثلون القدوة والاسوة الصالحة في اوساط الامة وشبابها اليافع وقادة كبار في واقع الحركة الإسلامية الهادفة الى تنشيط الوعي القرآني والفكر الإسلامي لتحريك حافلة الشباب والجيل الصاعد وتحويلها الى ساحة اللقاء بالله في اي موقع من مواقع الحياة واعتمادا منهم على الأسس العميقة التي بلورتها نهضة الإمام الحسين عليه السلام على جميع الصعد الحياتية لكونها ومن دون شك أجراس مدوية أيقظت المشاعر واثارت الافكار ودفعت التوجيهات الصحيحة نحو اهدافها المقدسة... ومنها:-

• سن الشباب هو الحلقة الوسطى في حياة الإنسان بين الطفولة والكهولة وفي هذه المرحلة تكمن خطورة الإنسان في حياته لأن الطاقة الشبابية في ماهيتها قابلة للتحويل سلباً او ايجاباً، بل هي مادة أولية يمكن ان نصنع منها قنبلة قاتلة للإنسانية اشبه \diamond بقنبلة هيروشيما \diamond عندما تقع بأيدي الأشرار، ويتحول فيها الإنسان الشاب الى إخطبوط في الجريمة بكل أبعادها وهذا نوع من قتل الإنسانية بلا إنسانية وخير شاهد على ذلك في عصرنا الحاضر وقائع الارهاب الاعمى الذي أخذ يغذي الشباب بالفكر المتطرف ويدفعهم إلى الموت الجهنمي حالما يفجر نفسه على امة من الناس وهذا النوع من العمل هو الاخطر في حياة البشرية على فئة الشباب.

ومرة اخرى بالإمكان ان نصنع منها سراجاً منيراً تهتدي به البشرية عموماً نحو مسارها الصحيح فيما لو حظيت في الاحتضان بأيدي الصالحين، وهنا تكمن مسؤولية المؤسسات

التربوية التي يجب ان يكون لها قصب السبق في ان تبادر مؤسساته بما تمتلك من المؤهلات واللياقات وتؤسس لهم خارطة الطريق من خلال برامجها التربوية والتوعوية، لغرض انتشالهم من الخطر الشيطاني وتحويلهم الى الخط الإسلامي تجسيدا بما أوصى نبينا ﷺ بذلك (ادركوا الشباب فانه شعبة من الجنون)^(٣) وهذا لا يعني وجود خلل في عقولهم وانما لشدة مراهقتهم بهذا العمر وحدة إرهاباتهم قد تدفعهم الى الإنحلال والإبتعاد عن طريق الإسلام ومعنى إدراكهم يعني العمل الى هدايتهم للإيمان بالله وبالرسالة، لان إيمان الشباب يتحول الى قوة متينة ورصينة لصالح الأمة، ذلك اذما حققت اتصالها الوثيق مع الخط الحسيني الراسخ في عمق التاريخ على امتداد حركته المتنوعة مما يجعلها كقوة شبابية تصمد امام المغريات وتتحدى مؤسسات التدمير والتخريب العقلي والفكري في أي موطن كان.

ومن هنا نجد الاستعمار واليهود على وجه الخصوص، يشنوا حملة واسعة وبشتى الوسائل الإعلامية المتاحة ليحرفوا الشباب المسلم عن صوابه، وما إشاعة المواد ووسائل الإنحلال الأخرى كالحمور والمخدرات والشعوذة إلا بسبب تخوفهم من دور الشباب المسلم وقوة مواجهته الإيمانية لأساليبهم الدنيئة وعقائدهم المنحرفة، لأنهم يعرفون جيدا ما للنهضة الحسينية من الاحتواء والجذب العاطفي والفكري لهؤلاء البراعم المتدفقة حتى يصل بهم الأمر إلى مراحل التضحية الراقية.

ومن السابق لأوانه نجد أن النبي ﷺ حرص على ما هو الأصلح والأكفأ في مرحلة التصدي لمواجهة أعداء الإسلام وإدارة البلاد وشؤون العباد دون النظر الى أصغرهم وأكبرهم وقام بتسخير طاقات الشباب وتوظيفها في إقامة دعائم حكومته الإسلامية، فأستعمل عتاب ابن أسيد على أهل مكة بعد فتحها وكان عمره عشرين سنة، كما استعمل أسامة بن زيد على أخطر جيش جهزه نحو الروم وكان عمره لا يتجاوز الثماني عشرة سنة)^(٤).

وهذا إنما يدل بالاعتماد على الكادر الشبابي والاهتمام بلياقاته الرسالية، مقررأ ذلك بحديثه الواضح ﷺ (فليس الأكبر هو الأفضل بل الأفضل هو الأكبر)^(٥).

ولقد أشار الإمام علي عليه السلام بقوله لإبنه الحسن عليه السلام مبيناً مدى إهتمامه بسن الشباب وأهمية تربيته قبل فوات الأوان: (فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته)^(٦).

نستنج من ذلك أن الأمام عليه السلام يطرح منهجاً توعوياً في هذه المرحلة، وأن كان الحديث لابنه الحسن عليه السلام إلا أنه وثيقة عهدية للأجيال الإسلامية الآتية، نستصرخ منها مؤسسات التبليغ والإعلام لتأخذ دورها الحقيقي بتفعيل هذه الوظيفة، لأنها وظيفة الأنبياء والصالحين. ثانياً: اليوم ونحن نعيش حياة التطور والتكنولوجيا التي دخلت إلى أغلب بيوت المسلمين وحيث حملات الفساد الأخلاقي المنظم التي تقودها بعض الدوائر المعروفة ومن يدور بفلكها علينا أن ندرك نهضة الحسين عليه السلام وثورته من أجل الإصلاح وهو القائل (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله)^(٧)، وذلك لأن الإصلاح ومحاربة الفساد يأخذ العديد من الأوجه ولا يتعلق بزمان أو مكان معين إلا أننا نؤكد على هذه المرحلة العنصرية التي يواجه فيها شبابنا اليوم جملة من الاحداث المتداخلة التي تسهم بطريقة او اخرى بصنع حالة من الالتباس لديهم في تحديد رؤيتهم للحياة والتعامل مع وقائع العصر التي غالباً ما تنحو الى الشكلية وتبتعد عن الجوهر الإنساني سواء في القول أو الفكر أو السلوك أيضاً، ولذلك غالباً ما يتشتت فكر الشباب وهم يتعاملون مع احداث العصر المتسارعة التي تقوم على اساس الربح والمنفعة بغض النظر عن النتائج الاخرى في الجانبين التربوي والاخلاقي.

لهذا فإن هذه الشريحة في الغالب بحاجة الى الرعاية التربوية والتقويم الفكري والسلوكي الدائمين، لا سيما إذا اتفقنا على انها الشريحة الاوسع والاكثر نشاطاً وطاقاً من بين شرائح الامة، ولذلك فإن الخطر الذي تتعرض له ستعود نتائجه الضارة على شرائح المجتمع كافة، لهذا نرى انهم الأكثر عرضة الى التخريب الفكري من غيرهم، وعليه أخطر الآفات هي تلك التي تهدد حياتهم وهم يمثلون ربع العمر وربعمان الصبا، قابلية الاستعداد للبناء والبذل والتغيير والتجديد، فإذا ما داهمتها آفة في الجسد أو الأخلاق أحالتها إلى حطام وخراب، فلا يرتجى منهم خير ونحن في أمس الحاجة إليه، فهل انتشار الآفات بين الشباب بهذا الشكل الفظيع، مؤامرة؟ نعم إننا لا نستبعد ذلك إذا ما قدر لنا ان لا نتعامل ولا نفعل النهضة الحسينية في اجوائنا الفكرية والعقائدية والاخلاقية وغيرها ويتعلم الجميع وكل ذي بصيرة كما يتضح، ان الذي عمل عليه تجار المخدرات والجنس على إحراق زهرة عمر الشباب وسحقها تحت الأقدام بغية الكسب المادي والربح الوفير، وخطط له تجار

السياسة على إغراق الشباب بالملاهي والملذات كي يصرفوهم عن الانشغال بالشؤون السياسية، والمطالبة بحقوقهم المشروعة، ويتبرع تجار الإعلام على جعلهم هدفاً لأغراضهم الخبيثة في العنف والجنس والانجرار إلى المتع المحرمة، والاهتمام بغير المهم من خلال دوائر الانترنت ومواقع الاعلام المتنوعة، كل ذلك من اجل ابعاد الشباب عن الخط الرسالي الذي يخيفهم على طول الخط، ولهذا بات من المهم أن يبحث المعنيون لا سيما المفكرون والمصلحون وقادة الامة عن السبل الناجعة التي تحصن الشباب من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والانشغال بالمصالح الفردية التي لا تصب في خدمة الامة بل قد لا تصب في خدمة الفرد نفسه، ولعل هذا لا يتحقق إلا من خلال خطط عملية قائمة على الدقة والاقناع في آن واحد، كون الشباب كما هو معروف ينطوون على قناعات ربما تحتاج الى جهد واضح لتغييرها. ومن هنا تبرز لنا أهمية التثقيف على القيم الانسانية الراقية، وسنجد في قيم النهضة الحسينية الخالدة هدفاً لتحقيق ما نصبو إليه في هذا المجال بما تتضمنه من ممارسات أخلاقية روعة ما فيها الصدق والموضوعية والصراحة والشجاعة والإباء وغيرها.

ثالثاً: وما هو معلوم أن الحسين عليه السلام من خلال نهضته المقدسة إنما قدم للشباب معطيات أخلاقية متدفقة من طباعه السمحة، على الرغم من المأساة التي عاشها في حينها إلا انه تعامل مع الجميع حتى مع أعدائه بقوة أيمانه الراسخ الذي لم يتضعضع وعزة نفسه التي لم تهون وإبائه وكبريائه ومشاعره الإنسانية التي لا تتداني قط.

فكانت تلك الروح الكبيرة التي غذيت بالفضائل النبوية والمكارم العلوية قمة العطاء الانساني، فلما رأى سيد الشهداء عليه السلام ما بالقوم من عطش أمر أصحابه ان يسقوهم ويرشفوا خيولهم فسقوهم وخيولهم الى آخرهم الف فارس وألف فرس في تلك الفيافي والرمضاء يسقيهم الحسين عليه السلام، حتى يرتووا.

من ذلك نفهم جيداً أن نهضة الحسين عليه السلام أقرنت بالعطاء فكانت عظمة بعطائه وشموخه وأخلاقه التي هي اخلاق محمد وعلي وأنها اخلاق القرآن والتي هي أيضاً اخلاق الائمة المعصومين عليهم السلام.

ولا غرو فإن الحوادث مهما عظمت لا تقعد النفوس الكبيرة عن أداء مهمتها الرسالية في تثبيت دعائم الحق، فنحن عندما نتمثل بالحسين عليه السلام في صرخته المؤدية للإصلاح والتغيير

بعيدا عن الخضوع الخنوع رافضا كل التحديات والمغريات نجد أنفسنا كشباب مرحلة في واقعنا المعاصر امام هكذا قائد ورائد قد نكون مقصرين في إلتئامنا إليه لأنه هانت عليه الحياة في عز الإلتئام لرسالته الربانية، ولكن متى هانت عليه الحياة وحياته أشرف حياة وأقدسها، هانت عليه الحياة حينما عزت في عينيه قيم السماء وصغرت في عينه الدنيا عندما كبرت في عين غيره لذلك أستبسل في مواطن البأس متماسك في مزالق المنحة فما وهن لما أصابه في سبيل الله ولا ضعف ولا أستهان فهو ومن معه كانوا في أعلى درجات العزم والتضحية من أجل صناعة هذه النهضة المباركة لتكون معطياتها حاضرة أمام الشباب المسلم ليتزود منها عنفوان وقدرة وإمكانية في السير قدما إلى نحو العزة والكرامة وقوة الارادة التي من شأنها أن لا تكون حصنا منيعا وسدا عصياً على من يحاولوا التوغل إلى جسم الأمة المحمدية.

المبحث الثاني

البعد العقائدي في النهضة الحسينية

وفيه:

أولاً: الملاحظ بأن القدر المتقين من حصيلة تلك الصفوة المختارة التي صنعت المواقف العملاقة من خلال نهضتها الحسينية المباركة أنها رسمت لنا معالم الطريق ابتداءً وأطلاقاً من محطات التوحيد مرورا على متكأ العدالة ومنتدى الإمامة والنبوة خصوصا بما جسده النبي الأعظم لقوله (حسين مني وأنا من حسين) حيث أصبحت هذه العبارة لافتة رسالية وعقائدية محضة حري بشبابنا المتطلع أن لا يجعلها وراء ظهره حالما يواجه الدعوات المزيفة والخطوط المنحرفة للنيل من عقيدة التوحيد السامية.

فالنهضة الحسينية بلغت في عقائديتها الذروة العليا لدى قائدها وإتباعه وأنصاره فهي لم تختلف وعيا في جميع ادوارها، فالشيخ الكبير الذي هو عضو أساسي في واقع النهضة الحسينية يحمل نفس الوعي العقائدي الذي يحمله الكهل والفتى بل الذي لم يبلغ الحلم فلو تصفحنا الوثائق الأولى لقائد النهضة وحتى آخر حياته عليه السلام فهو لم يقصد الثورة على الحكم تغيير الحاكم كيزيد بالذات كونه ابن معاوية وهو أموي فيشار إلى ثورته بالقبلية والعصية كما صورها البعض المناوئ لثورة الحسين عليه السلام ذلك ما يفقدها عقائديتها تماما إلا أن

الحسين عليه السلام علل ثورته بقوله (أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد، مخالفاً لسنة رسوله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)^(٨)، فكانت النهضة المباركة بثوبها العقائدي اللامع وليس عليه غبار لو ألقينا نظرة واحدة على شبابها كسعيد ابن مرة التميمي الذي ألتحق بالحسين آخر لحظة وعمره ثمانية عشر سنة فوصل إلى كربلاء وقرأ السلام على الحسين اخذ ينادي السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا خليفة الله بعد نبيه السلام عليك يا حامل لواء الحق^(٩)، ذلك ما يجسد الوعي العقائدي في الصف الشبابي الذي ترقبه الامة في كل مساراتها الحياتية.

ومن المؤكد أن الرافد العطائي لنهضة الحسين مستمرا ودائما على مختلف العصور والأجيال فهو بمثابة المشعل الذي ينير الدرب للثائرين في سبيل رسالة الحق الخالدة هذا من جهة ومن جهة ثانية يزيح الستار عن الهياكل الوهمية المزيفة التي بنت دعائمها على عروش ومواقع هي اشبه بأعواد الكبريت سرعان ما تلهبها حرارة الثورة المستعرة في عمق التاريخ.

ومن المؤكد أن هذا العطاء الثابت للثورة لطالما غذى الغصون الإسلامية حتى نمت وترعرعت، فهي كانت ولا تزال وستكون نبراسا لكل انسان ينشد الحرية على وجه الأرض بل هي الأمل المنشود للذين يدافعون عن حقهم للعيش بسلام وأمان فيما إذا تفاعل معها الوافدون الشبابيون بوعي وأخلاص بما يحقق استقامتهم على الصراط السوي.

بيد أن هذه الملحمة الحسينية أكثر ما تداخلت وتفاعلت معها الاتجاهات العاطفية لما فيها من المواقف المروعة والأخلاقية من الطرف المعادي فكانت المأساة بحق أبكت العيون والهبت المشاعر حزنا وتألما مما دعى المؤرخ الانكليزي الشهير جيبونر يقول: (أن مأساة الحسين المروعة، بالرغم من تقادم عهدا، وتباين موطنها، لا بد أن تثير العطف والحنان في نفس أقل القراء إحساساً وأقساهم قلباً)^(١٠) ونحن أذ نعتقد بعاطفية الواقعة ونهضتها الفاعلة إلا أننا لا ينبغي لنا أن نجردها من أهدافها ومبرراتها الاساسية التي من اجلها يصدق عليها عنوان النهضة.

فمن اللافت للنظر أن النهضة الحسينية أعطت جميع شرائح المجتمع رؤيتها للسير في طريق العقيدة الراسخة في عالم الوجود لغرض بناء الأمة والمجتمع الصالح والابتعاد عن طريق

الانحراف والفساد لقد ضرب لنا الشباب المؤمن الذين كانوا في عسكر الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر والعزيمة والتوكل على الله في تحمل المسؤولية مهما بلغ حجمها وعظمتها بدافع عقائدي لا يشوبه الشك قيد أنملة فكانوا مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ قَبِيحٌ بُرِّهْمُ وَمَرْدُنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣). فعلي الأكبر لم يكن وقوفه إلى جانب النهضة الحسينية بسبب ارتباطه بأبيه عليه السلام فقط ولكن السبب الرئيسي هو اعتقاده الجازم بصدق القضية التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السلام وشعوره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه كشاب مسلم مؤمن وهو يرى الفساد والانحراف العقائدي والأخلاقي ينخر جسد الأمة ويمزق أوصالها، وهكذا كان القاسم ابن الحسن وبقية شباب بني هاشم وغيرهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل، وصل إلى الشاب التركي والغلام الزنجي، كونهم ينتمون إلى هذه الأمة ويؤدون واجبهم على أم وجه فكانت صور من التفاني دفاعاً عن رسالة السماء المقدسة وهم بكامل الوعي بأن الذين اعتدوا على الإمام عليه السلام لم يستهدفوا قتل الامام بقدر ما كانوا يستهدفون قتل العقيدة التي تجسدت في قلب الامام عليه السلام ذلك ما يدعونا إلى التعامل الجدي في هذا الموقف المثالي.

ثانياً: ومن الأهمية بمكان أن حركة النهضة قد أثبتت قدرتها في استيعاب الشباب العقائدي على مختلف الاصعدة فاستقبلتها الناشئة في البيوت والطرق وتدارستها الطلبة في الجامعات والمدارس وتذاكرتها قطاعات علمية وثقافية في ندواتها ومنتدياتها وأحياتها جموع البشرية عامة في مساجدها وبيوتها ومؤسساتها كل ذلك وفاء للدين وحسن الأداء لحماية العقيدة المقدسة التي دافع عنها الحسين عليه السلام فهي تضحيات جسيمة تفوق التصور.

ومعلوم أن سيد النهضة وقائدها قد حقق سمو الغاية في نهضته في رفض البيعة للطاغية يزيد فأعلن قولته الخالدة عندما دعاه والي المدينة الوليد بن عتبة الى البيعة فقال عليه السلام (أنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم، يزيد شارب الخمر وقتل النفس المحرمة معلن الفسق ومثلي لا يبايع مثله)^(١١).

لقد بين الامام الحسين عليه السلام أنه الامتداد الطبيعي لمنهج الرسالة المحمدية وهو الامام الشرعي الذي اختاره الله بعد أبيه وأخيه فهم الثقل الاصغر وهم حماة الدين ورعاته وأهله

أذن لا يمكن له بأي حال من الاحوال أن يبايع شخصاً مثل يزيد فلو انه بايع - وحاشاه من ذلك - لما كانت هناك شريعة وما كان هناك اسلام وهذا ما تجلّى في قوله ﷺ: (إذا ابتلى الناس براع مثل يزيد فعلى الإسلام السلام)^(١٢).

ومن الأجدد علينا ان نرسخ الصورة العقائدية في اذهان الشباب والاجيال الآتية اكثر واكثر نستطيع الوقوف على بيانه الصريح في وصيته المعروفة: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي الى اخيه محمد بن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي ﷺ أريد ان أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ﷺ فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين)^(١٣)، من هنا تقدر الضرورة القصوى بما يقتضيه واقع الأمر بأن الأمة ملزمة بمفردات ذلك البيان الصريح الذي جسده فيه الأمام ﷺ حقيقة الاعتقاد ونقائه وصفائه ولكن بما نسمعه ونشاهده من علماء وامراء التطرف والغلو إنما هو مخالف للشريعة السمحاء ولجميع كتب السماء ذلك ما يدعوننا إلى مزيد من التوعية والارشاد لشبابنا اليافع خشية الوقوع في مصائد هذه الشرذمة كما نهيب بفخر واعتزاز لشبابنا الذي يدافع عن عقيدته الحقّة في ميادين الجهاد وهم يلبون نداء قائد النهضة الحسينية ﷺ يوم أطلقها في ساحة كربلاء إلا من ناصر ينصرني...

المبحث الثالث

البعد السياسي والجهادي في النهضة الحسينية

أولاً: مما لا شكّ فيه أنّ الإسلام إنّما جاء ليبيّن أمة، ويؤسّس دولة ويوجد حاضرة، فهل من المنطق السليم ما يدّعيه أعداؤه والخارجون عليه من أبنائه بقولهم: إنّ الإسلام ليس فيه نظام سياسي، وإنه ما هو إلاّ علاقة روحية صرفة بين العبد وبين ربه، ولا علاقة له بشؤون الحكم وإدارة حياة الإنسان العامة؟

هذه الدعوى إنّما أوجدها أعداء الإسلام، وصفّق لها المتأثرون بالفكر الماديّ من أبناء

الأمة الإسلامية؛ وذلك لإبعاد النظام الإسلامي عن الحياة؛ لكي لا يكون لوجوده أي أثر أو قوة في حياة المسلمين، فيمنعهم عن تحقيق ما يصبون إليه من السيطرة على الأمة.

ولاً فكيف يكون الأمر كما يدعون، والإسلام هو الدين الكامل الذي لا يدع جانباً من جوانب حياة الإنسان - الخاصة والعامة - إلا وضع لها الأحكام التي تنظم شؤون الإنسان، بما في ذلك نظام الحرب والدفاع والعلاقات العامة في الداخل والخارج، مما يدل على طبيعة التصميم التشريعي للإسلام كدولة وهذا هو المنجز الآخر المكمل لما قبله والذي صنعتة الملحمة الحسينية وأن كان على مستوى النظرية آنذاك إلا أنه حظي بالمصادقية والموضوعية في مواقع متعددة ولم نجد هناك أي فراغ تشريعي من البناء الكامل للدولة.

فالإسلام - إذا - يمتلك النظام السياسي الذي هو الحل الحاسم لكافة مشاكل الإنسان؛ لأنه تنظيم الخالق لشؤون وحياة المخلوق؛ لأن الخالق تعالى هو الذي يعلم إيجابيات الإنسان وسلبياته ونقاط القوة والضعف في وجوده لذا من الطبيعي ان ينظر شبابنا إلى مسؤوليته من خلال انتمائه لنهضة الحسينية التي لم تغفل إلى جانب التكامل في النظام الإسلامي إنما تعامل مع منظومة متماسكة في جميع معطياتها وبسعة مفرداتها لغرض أنعاش الأمة في حريتها وسيادتها وثرواتها وكرامتها وغيرها.

ومن الجدير ذكره ان أمر الحسين عليه السلام ونهضته كان يشغل بال الخليفة الجديد ومستشاريه من بني أمية أكثر من أي شخص آخر ذلك ما دعى إليه معاوية قبل أن يموت بأخذ ولاية العهد لأبنة يزيد وكان جواب الأمام له (وهيات هيات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى محلت، وجزت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد، من اكتماله وسياسته لأمة محمد صلى الله عليه وآله، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي، تجده باصراً. ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية.

فو الله ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية. ما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عملٍ محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص (١٤).

فلما مات معاوية وتولى يزيد الأمر، كان أول ما فكر فيه أن يأخذ البيعة من الحسين عليه السلام، فكتب في ذلك إلى عامله المدينة الوليد بن عتبة، فامتنع الحسين عليه السلام امتناعاً شديداً في قصة طويلة حيث قال فيه الحسين عليه السلام، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، مُعلن بالفسق، ومثلي لا يُبايع مثله (١٥).

فكان الحسين عليه السلام يعلم أن يزيد يريد القضاء عليه كونه العقبة الوحيدة أمام طموحه الجامح للسيطرة على الأمة بكل مؤسساتها ولهذا أخذ يعد العدة وينادي بالنصرة ليس لشخصه بل لرسالة السماء وفي سبيل ذلك في بعض بياناته بأن الاستشهاد في هذه النهضة إنما يكون فتحاً لأمة محمد صلى الله عليه وآله في مستقبلها.

فكان عليه السلام يريد الفتح الذي تدخل فيه الأمة بشبابها في ساحات الصراع من اجل الكرامة وحماية الرسالة المحمدية وذلك عندما خاطب أخوته بوصيته المعروفة (أما بعد فمن حق بي فقد استشهد ومن لم يلحق فما بلغ مبلغ الفتح) (١٦). فكان قصده من الفتح بعد الشهادة هو التأمل والتدبر بوعي وأدراك في حركته ونهضته ذلك ما ينبغي لمواكب الشباب المتحركة على مدار الزمن أن تعلم بأن الفتح هو الانتماء لهذا الخط الذي واجه الظالمين بفكره وعقله وجسده.

ومعلوم ان الفهم الشبابي للفتح الحسيني إنما أحدث تغيرات كبيرة على واقع الارض وعلى مدى الزمن بل واسقطت فيه انظمة وازيحت عروش وحكام التسلط والاستبداد فكانت البداية من ثورة التوابين بعد واقعة الثورة بعد أن أنبتهم ضمائرهم إلى الدخول بذلك الفتح ثم انطلقت ثورة المختار التي ما برح قائدها ومقاتلها إلا ان ينتفضوا على قتلة الامام الحسين عليه السلام تحت شعار يا لثارات الحسين ومثلها ثورة زيد وانتفاضة ولده محمد وفي القرن العشرين اثبتت الامة الحسينية قدرتها واستعدادها أن تلبى صوت الحسين بعد أن هب شبابها إلى مواجه أكبر مؤسسة عسكرية غربية في الشرق الوسط تحت وصاية الغرب وبنفس الشعار يا لثارات الحسين حتى استبدلت ذلك النظام بنظام اسلامي كما هو الحال في ايران

وكم ارادت قوى الغرب أن تغيره لكنها أضحت كناطح صخرة حتى عجزت إلى يومنا هذا بفضل الشباب الذي ربتهم النهضة الحسينية ولا ننسى الانتفاضة الشعبانية عندما هب الحسينيون بتحطيم تلك المؤسسة الصنمية المعروفة في العراق حتى أرعبتها واسقطت مؤسساتها كما هو معلوم ثم لا يفوتنا مواجهة الحسينيون مع الأمريكان في مختلف المواقع وخير شاهد في واقعا الحاضر حيث يستبسل شبابنا المجاهدون النصر تلو النصر على حثالة التاريخ وشذاذ الافاق ولتي جاءت بهم امريكا والصهيونية العالمية لرعب الشعوب التي جاهدت وحاربت من أجل حريتها وسيادتها.

ثانياً: من المؤكد لدينا ان تلك الهمة والعزيمة التي بادر اليها شبابنا الولائي بفضل النهضة الحسينية إنما علموا ان عناصر تلك النهضة لم تضحي من أجل شخص او مال او منصب أو موقع انما كانت التضحية والدفاع المقدس عن الدين القويم مثلما ترجمه الحسين عليه السلام كما قيل عنه (ان كان دين محمد لم يستقم فيا سيوف خذي) فكان من مبادئ النهضة ايجاد حركة قوية وسط العالم الإسلامي، تهز ضمائر المسلمين هزة عنيفة، وتبعث في نفوسهم الحياة والإحساس بالمسؤولية، وتكسر عنهم طوق الخوف والرعب الذي كان يملأ نفوسهم آنذاك، وتعيد إليهم ثقتهم بالله، ثم بأنفسهم.

لقد كان لا بد من تضحية عزيزة نادرة، تهز ضمائر المسلمين من الأعماق، وتعيد إليهم شخصيتهم وإرادتهم التي انتزعها النظام الأموي منهم، وتُشعرهم بعمق المأساة وعمق المسؤولية.

وإن للدم والتضحية والفداء من الأثر في تحريك النفوس، وكسر حاجز الخوف، وإعادة الثقة إلى النفوس، والتحسس بالمسؤولية، ما ليس لغيره من عوامل التحريك.

فإقدام الإمام على الخروج والثورة على النظام الأموي، والمواجهة والمجابهة، لم يكن فقط لغرض رفض البيعة، وإعلان هذا الرفض، وإنما كان أيضاً لتحريك المسلمين، وتحسيسهم بالمسؤولية، وإعلان الموقف الشرعي، ودعوة المسلمين إلى المواجهة والمجابهة والمعارضة، والتمرد على النظام والسلطة الأموية. والإنكار بالعمل والتضحية والقوة، من أهم شعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد روى عن رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكراً، فليُنكِرْ بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله أنه لذلك كاره) (١٧)، وروي عن عليّ ﷺ أنه قال في صفين:

(أيها المؤمنون، إنه من رأى عدواناً يعمل به، ومنكراً يدعى إليه، فأنكره بقلبه، فقد سلّم وبرئ، ومن أنكره بلسانه، فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف، لتكون كلمة الله العلياً، وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى) (١٨).

وكان الإمام الحسين ﷺ يعرف جيداً ولم يكن يأمل أن يجد في العراق جيشاً قوياً، يدعمه في موقفه ضد سلطان بني أمية، ويتبنى دعوته لإسقاط النظام، ويقف إلى جانبه ويثبت، وكان يعلم جيداً أن هؤلاء الناس الذين تجمعوا لدعوته وبيعته وكتبوا إليه، سرعان ما ينقشعون أمام قوة الشام والحكومة المركزية، ولا يبقى معه غير قلة قليلة من مناصريه.

بيد ان النهضة الحسينية لم تنقطع يوم عاشوراء وأن واعية الحسين ﷺ حيث أنها واعية رسالية وليست واعية شيخ عشيرة أو قبيلة؛ فواعيته الرسالية لا تنقطع مادامت الأخطار تكتنف هذه الرسالة وقد قال الإمام الحسين ﷺ ((ماسمع واعيتنا شخص ولم ينصرنا إلا أكبه الله على وجهه يوم القيامة))^{١٩}، ذلك ما يدل على ان اي ظلامه أو تجاوز على قيم الرسالة او رموزها الافذاذ او الانحراف عن طريقها يعد ذلك خرقة عقائديا حري بالامة وشبابها ان تقف حائلا دون ذلك كونه يعد واعية ونكسة كبيرة تحتاج الى النصر من الجميع.

إن الإمام الحسين ﷺ حينما ثار وحينما بدأ يبذل بدمه في سبيل الإسلام كان يواجه بدايةً خط من الانحراف؛ هذا الخط نحن الآن نعيش قيمته؛ نعيش كل تصورات فواعية الإسلام اليوم أوسع وأكبر.

وبذلك يأتي دور بناء الشباب ليكون واعياً تجاه قضيته في سبيل ان يساهم في إنقاذ الإسلام؛ في إنقاذ المسلمين في إعادة الإسلام إلى الحياة.

أن كل شاب قادر على أن يساهم في هذه العملية بقليل او كثير في حدود قابلياته أو امكانيات لا يكون ذلك إلا بعد بناء شباب تعي النهضة الحسينية ومترتبة على اساسها وبذلك نشأ جيل من الشباب المنصهر مع مبادئ عاشوراء؛ ولا يمكن ان يوجد هذا الشكل

فجأة. اذن لا بد لكل شاب ان يساهم بقدر إمكانه وظروفه الفكرية والعلمية والاجتماعية في هذا المنهج الحسيني.

نطوي ثورة الحسين عليه السلام على معان سامية وقيم رفيعة تتجلى ارقى صورها في ان اباطالها وحاملي لوائها اغلبهم من الشباب الذين سلكوا طريق ترسيخ الدين الاسلامي وتعزيز مبادئه واصوله.

فلم تكن ثورة الحسين عليه السلام ثورة ضد الظلم فقط، فإذا ما تمعنا فيها بعمق، لوجدناها ثورة للبناء وانشاء مجتمع اسلامي وجيل من الشباب هدفه اقامة حكومة اسلامية تهتدي بخطى اهل البيت عليهم السلام كون الحسين عليه السلام يمثل رمزا للوحدة الإسلامية باتفاق جميع المسلمين والمنصفين.

الخاتمة:

وبعد رحلة البحث مع النهضة الحسينية وتأثيرها على الشباب المسلم لا بد ان نسجل بعض النتائج التي توصل اليها البحث ومنها:

١- واليوم ونحن نعيش حياة التطور والتكنولوجيا التي دخلت إلى أغلب بيوت المسلمين وحيث حملات الفساد الأخلاقي المنظم التي تقودها بعض الدوائر المعروفة ومن يدور بفلكها علينا أن ندرك نهضة الحسين عليه السلام وثورته من أجل الإصلاح وهو القائل (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله)^(٢٠)، وذلك لأن الإصلاح ومحاربة الفساد يأخذ العديد من الأوجه ولا يتعلق بزمان أو مكان معين إلا اننا نؤكد على هذه المرحلة العنصرية.

٢- فمن اللافت للنظر أن النهضة الحسينية أخذت جميع شرائح المجتمع وسيلتها للسير في طريق العقيدة الراسخة في عالم الوجود لغرض بناء الأمة والمجتمع الصالح والابتعاد عن طريق الانحراف والفساد لقد ضرب لنا الشباب المؤمن الذين كانوا في عسكر الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر والعزيمة والتوكل على الله في تحمل المسؤولية مهما بلغ حجمها وعظمتها بدافع عقائدي لا يشوبه الشك قيد أمثلة فكانوا مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ قَتِيلَةٌ أَمْوًا بِرَبِّهِمْ وَرَدْنَا هُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣). فعلي الأكبر لم يكن وقوفه إلى جانب النهضة الحسينية بسبب ارتباطه بأبيه عليه السلام فقط ولكن

السبب الرئيسي هو اعتقاده الجازم بصدق القضية التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السلام وشعوره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه كشاب مسلم مؤمن وهو يرى الفساد والانحراف العقائدي والأخلاقي ينخر جسد الأمة ويمزق أوصالها.

٣- من المؤكد لدينا ان تلك الهمة والعزيمة التي بادر اليها شبابنا الولائي بفضل النهضة الحسينية إنما علموا ان عناصر تلك النهضة لتضحي من أجل شخص او مال او منصب او موقع في أي مناماكن الدنيا انما كانت التضحية والدفاع المقدس عن الدين القويم مثلما ترجمه الحسين عليه السلام كما قيل عنه (ان كان دين محمد لم يستقم فيا سيوف خذيني) فكان من مبادئ النهضة ايجاد حركة قوية وسط العالم الإسلامي، تهز ضمائر المسلمين هزة عنيفة، وتبعث في نفوسهم الحياة والإحساس بالمسؤولية.

هوامش البحث

- (١) الكهف: ١٣.
- (٢) فضل الله، الحركة الإسلامية، هموم وقضايا، ص ١٤.
- (٣) الكليني، مصدر سابق، فروع الكافي، ص ٦٨.
- (٤) الحسني، هاشم معروف، سيرة المصطفى عليه السلام، ص ٢٥٠.
- (٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢١/ ١٢٣.
- (٦) نهج البلاغة، ج ٣ الخطبة رقم: ٣١.
- (٧) الملحمة الحسينية/ الشهيد مطهري؛ ج ٢/ ص ٢٣.
- (٨) الثورة الحسينية، محمد مهدي شمس الدين، ص ٤٥.
- (٩) محاضرات في النهضة الحسينية.
- (١٠) راجع، تاريخ العرب، السيد مير علي، ترجمة رياض رأفت: ٧٤، طبع مصر، ١٩٣٨م.
- (١١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المرقم، ص ٤٦.
- (١٢) مقتل الحسين، عبد الرزاق المرقم، ص ٢٠١.
- (١٣) السجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود ج ١، ص ٣٥٨.
- (١٤) الإمامة والسياسة لأبن قتيبة الدينوري، ص ١٨٦، ط مصر - ١٩٦٩م.
- (١٥) الفتوح، لابن أعثم: ٥ / ١٠. وتاريخ الطبري: ٣١٦/٧.

- (١٦) روضة الكافي، محمد بن يعقوب الكليني.
(١٧) بحار الانوار، ملا محمد باقر المجلسي، ج٤٧/٨٩.
(١٨) نفس المصدر.
(١٩) الفتوح؛ ج٥/ص٧٤.
(٢٠) الملحمة الحسينية، الشهيد مطهري؛ ج٢/ص٢٣.

قائمة المصادر والمراجع

- خير ما نبتدأ به القرآن الكريم
١- الإمامة والسياسة لأبن قتيبة الدينوري، ط مصر، ١٩٦٩م
٢- بحار الأنوار العلامة محمد باقر المجلسي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٣- تاريخ الطبري محمد بن جرير الطبري أبو جعفر الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧.
٤- تاريخ العرب، السيد مير علي، ترجمة رياض رأفت: ٧٤، طبع مصر، ١٩٣٨م.
٥- الثورة الحسينية، محمد مهدي شمس الدين، بيروت - لبنان.
٦- الحركة الإسلامية، هموم وقضايا، السيد محمد حسين فضل الله الناشر: دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة ٢٠٠١ -
٧- روضة الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق محمد جواد الفقيه، تحقيق: الدكتور يوسف البقاعي، دار الاضواء، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.
٨- سنن أبي داود، لابي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية.
٩- سيرة المصطفى، هاشم معروف الحسني، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
١٠- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد عبد الحميد بن محمد (ت٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الساقية للعلوم، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.
١١- الفتوح لابن ابي اقرم.
١٢- مقتل الحسين، عبد الرزاق المقرم.
١٣- الملحمة الحسينية، الشهيد مطهري، طهران - إيران.